وجهة نظر

بإمكان أصحاب الحيازات الصغيرة إطعام العالم

تمكين السكان الريفيين الفقراء من التغلب على الفقر

IFAD

بإمكان أصحاب الحيازات الصغيرة إطعام العالم

على أرض كانت قاحلة في الصحراء المصرية، يبين أحمد عبد المنعم الفار وزملاؤه المزارعون كيف يمكن للزراعة الموجهة نحو السوق أن تحول حياة الناس وتخلصهم من براثن الفقر.

يحمل أحمد شهادة في الهندسة الزراعية من جامعة القاهرة، ولكن كغيره من العديد من الخريجين المصريين لم يتمكن من الحصول على عمل في مجال اختصاصه بعد التخرج. وبعد سنوات من البطالة فيما عدا بعض العمل العرضي في مرآب للسيارات، أو كنادل في مطعم، استجاب أحمد لإعلان يقدم فرص في الزراعة للخريجين العاطلين عن العمل.

وبعد انضمامه إلى مشروع يدعمه الصندوق تسلم أحمد قطعة من الأرض مساحتها 2,1 هكتار من الصحراء المستصلحة حديثا، وقد أدخل المشروع صندوقا ائتمانيا، ونظما للصرف والتخلص من النفايات، والري بالتنقيط. كما أنه درب المزارعين على الإنتاج المحصولي والحيواني وعلى تقنيات الإدارة المستدامة للأراضي والمياه.

بدأ أحمد بزراعة الفول والبصل والفلفل الأخضر والطماطم والبطاطس. كذلك فقد ابتاع مع زوجته أبقارا للحصول على اللحوم والأجبان والزبدة والسمن واللبن والحليب الطازج. كما قاما بزراعة البرتقال الذي أصبح محصولا نقديا. وفي عام 2008 تمكنا من إنتاج 40 000 طن.

ساعد المشروع المزارعين على تطوير روابط مباشرة مع المصدرين والمشترين الرئيسيين في الأسواق المحلية. ويقوم المزارعون المشاركون، وعددهم 36 000 مزارع، بتزويد منتجعات شرم الشيخ في مصر بالبرتقال الطازج وجبنة الموتزوريلا الأصلية. كذلك فإنهم يصدرون الفلفل الحلو والطماطم التي يتم تجفيفها تحت أشعة الشمس إلى إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية، والفول السوداني إلى ألمانيا وسويسرا، والزبيب والخرشوف والمشمش والخوخ والبطاطس إلى عدد من البلدان الأوروبية.

ولعل أكثر عقودهم إثارة للإعجاب هو العقد الذي أبرموه مع شركة Heinz التي تشتري حاليا أكثر من 6 000 طن من الطماطم كل عام من 300 مزرعة من مزارع المشروع. وتوفر شركة Heinz للمزارعين البذور، وهي تضمن شراء نصف محصولهم بسعر متفق عليه. وإذا لم يتمكن المزارعون من بيع ما تبقى من الطماطم في السوق المحلية فإن الشركة ملتزمة أيضا بشرائه منهم.

مع الدعم يأتي النجاح

تعتبر قصة النجاح المثيرة للإعجاب هذه برهاناً على أن باستطاعة المزارعين من أصحاب الحيازات الصغيرة أن يكونوا جزءا من الحل لقضية الأمن الغذائي العالمي بمساعدتهم على إطعام العالم. ولكنهم لن يتمكنوا من القيام بهذا وحدهم. وما يحتاجونه هو أن تقوم البلدان الفقيرة والغنية على حد سواء بالاستثمار ودعم التنمية الزراعية والريفية وخلق الظروف الموائمة لنقل السكان الريفيين الفقراء من زراعة الكفاف إلى الأسواق.

هنالك حوالي 500 مليون مزرعة من مزارع أصحاب الحيازات الصغيرة في العالم، ويعتمد أكثر من 2 مليار شخص عليها لكسب عيشهم. وتنتج هذه المزارع الصغيرة حوالي 80 بالمائة من الأغذية المستهلكة في آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء.

طوال السنوات العديدة التي عملتُ فيها في مجال الزراعة والتنمية الريفية، غدا أمران غاية في الوضوح بصورة متزايدة بالنسبة إلي: أولهما، أن الزراعة مهما كان حجمها هي عمل، وأنه من الواجب معاملة المزارعين من أصحاب الحيازات الصغيرة والمنتجين كأصحاب مبادرات. وثانيهما، أن الأعمال بحاجة إلى روابط على طول سلسلة القيمة من الإنتاج إلى التجهيز والتسويق في نهاية المطاف إلى الاستهلاك. وعندما توجد هذه الروابط يمكن لأشياء رائعة أن تتحقق.

وخلال أسفاري حول العالم التقيتُ بالعشرات من الأشخاص مثل أحمد، أناس انقلبت حياتهم رأسا على عقب مع القليل من المساعدة من خلال أشكال مختلفة من التمكين.

والقصة نفسها في كل مكان، وفي بلد تلو الآخر حيث تحولت حياة مجتمعات بأكملها من خلال المشروعات التي يدعمها الصندوق.

فعلى سبيل المثال دعونا نأخذ حالة Elysée Nkundabagenzi من رواندا. ففي مجتمعها حيث يعيش الناس في فقر مدقع ويعانون من سوء التغذية، تلقت هي وجيرانها قروضا صغيرة ورؤوساً من الماعز والأبقار وتدريبا على إنشاء حدائق منزلية.

وهنالك أيضا Esther Siakanede من زامبيا، حيث مكنها مخطط للري خاص بأصحاب الحيازات الصغيرة من زراعة الكرنب والطماطم لبيعها في أسواق ليفنغ ستون وكالومو.

وهنالك أيضا Pedro Tun، وهو مزارع من أصحاب الحيازات الصغيرة ورئيس رابطة للمنتجين في غواتيمالا حيث استطاع أصحاب هذه الرابطة بدعم من مشروع يسانده الصندوق البدء بزراعة محاصيل عالية القيمة، وهي الفاصوليا والبصل. كما أنهم اشتروا معدات للري وقاموا ببناء مرفق تخزيني بالشراكة مع القطاع الخاص لإيصال منتجاتهم إلى الأسواق الجديدة.

ومع أن قصص الحياة وأقاليم العالم مختلفة في الأمثلة التي ذكرتها، إلا أن المحصلة النهائية واحدة، فزيادة الإنتاج والإنتاجية يؤديان إلى زيادة الدخل، وزيادة الوجبات المتوفرة يوميا، وبناء منازل جديدة والحصول على تعليم أفضل وعلى رعاية صحية للأسر وبخاصة الأطفال.

وفي رواندا، تنتج Elysée حاليا ما يكفي من الخضار والحليب لسد احتياجات أسرتها كما أنها توفر المزيد مما يمكن بيعه في الأسواق وبإمكانها إرسال أولادها إلى المدرسة وشراء تأمين صحي. كما أنها تخلت عن كوخها المبني من الأعشاب وبنت لنفسها بيتاً جديداً.

في زامبيا، تمكنت Esther من إرسال أبنائها إلى مدرسة إعدادية، واشترت أربعة رؤوس من الماعز وهاتفاً جوالاً. كما اشترت أيضا أسمدة لمحاصيلها الحقلية المزروعة في الهضاب وبنت بيتا بتغطية حديدية.

وفي غواتيمالا Pedro وزملاؤه في غواتيمالا، فإنهم يبيعون منتجاتهم لبعض أكبر تجار التجزئة في العالم، بما فيهم سلسلة محلات Walmart.

وتبرهن هذه القصص، وغيرها من القصص التي شهدتها بأم عيني – من مزارعي البن من أصحاب الحيازات الصغيرة في الجمهورية الدومينيكية وإلى منتجي الكسافا في غانا – على قدرة الزراعة الموجهة نحو السوق وعلى توليد الدخل وتحقيق النمو الاقتصادي المستدام.

ولكن ذلك لن يتحقق دون التزام قوي من عدد من الشركاء: الحكومات والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني والقطاع الخاص والمزارعين من أصحاب الحيازات الصغيرة ورابطاتهم.

فالمزارعون من أصحاب الحيازات الصغيرة والمنتجون ليسوا بانتظار صدقة نعطيهم إياها، فهم قادرون على إطعام أنفسهم ومجتمعاتهم والعالم بأسره.

واليوم دعونا نؤكد مجددا التزامنا بهؤلاء الأعضاء المنتجين الصامدين الفخورين بأنفسهم في مجتمعاتنا. دعونا نستثمر في المناطق الريفية لضمان وجود أماكن يرغب شباب اليوم العيش فيها غدا، أماكن يستطيعون فيها بناء مجتمعات صحية ومزدهرة متحررة من الجوع والفقر، أماكن يستطيعون منها إطعام العالم.

لقد رأيتُ ذلك بأم عيني وأعرف معرفة اليقين أن ذلك ممكناً. دعونا نحول كلماتنا إلى أفعال.

بقلم **كانايو نوانزي**
رئيس الصندوق الدولي للتنمية الزراعية

الصندوق الدولي
للتنمية الزراعية
Via Paolo di Dono 44
00142 Rome, Italy
رقم الهاتف: 54591 06 39+
رقم الفاكس: 5043463 06 39+
البريد الإلكتروني: ifad@ifad.org
www.ifad.org
www.ruralpovertyportal.org

جهة الاتصال:
Sabel NDure-Barry
المساعدة التنفيذية لرئيس الصندوق
رقم الهاتف: 54592200 06 39+
البريد الإلكتروني: s.ndure-barry@ifad.org

ISBN 978-92-9072-226-7
فبراير/ شباط 2011